

حتى لا ينكسر الباب عثمان بن علي الأنصاري



في التطبيقات العملية للتربية يحار المرابي

أحيانا بين طرفي اللين والقسوة . والمواجهة والمداراة . والمرابي لرعيته كالباب الذي يرد العواصف القادمة من الخارج والتي فيها الفساد والهلاك إذا دخلت على من تحت يده ورعايته . فإذا كانت هذه العواصف شديدة ولم يعد بالإمكان ردها تماما . فهل الأولى أن يبقى في حالة المواجهة الكاملة حتى ينكسر ؟ أم أنه ينتقل إلى وضعية يمكنه معها تخفيف حدة وشدة هذه الرياح ليضعف أثرها حيث لم يعد من الممكن له ردها ، حتى تهدأ ويعود الباب في التصدي والحماية مثلما كان وأقوى . لا شك أن الانتقال في وضع دفاعي مُجدٍ وقابل للاستمرار أولى من البقاء أمام تيارٍ قوي يكسر الباب وتدخل منه العواصف القوية المهلكة . فالهرب كره وفر ، والطريق طويل ، والجندي يحتال في يقظة وحذر . لكن لا بد أن يستحضر المرابي هنا أن المطلوب منه الثبات والعودة سريعا للإغلاق والتصدي والدفاع الكامل أمام هذه العواصف المفسدة . فلا يركن ويستحسن موقف الضعف هذا أو يدعو إليه من عافاهم الله من هذه الرياح القوية . أو من كانوا من القوة بمكان لا يخشى عليهم الضعف والانكسار ، أو يهوّن من أثر الفساد الذي دخل ولم يستطع رده . لقد قررت الشريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشددت في ذلك النصوص . كما أنها جاءت بالإعذار في حالة العجز والانتقال لمرتبة الإنكار باللسان ثم القلب . والمداراة وترك التغيير باليد إذا ترتب عليه ما هو أشد من هذا المنكر. والنصوص معلومة في هذا .

ففي الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُعَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ».

وفي الصحيح عنها رضي الله عنها أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «اِذْنُوا لِي» فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ: «يُنْسُ أَدُو الْعَشِيرَةِ، وَيُنْسُ ابْنَ الْعَشِيرَةِ» فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ، وَأَتْبَسَطَ إِلَيْهِ (وفي رواية: ألان له الكلام)، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَأَتْبَسَطْتَ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ! مَتَى عَهْدَتِنِي فَحَاسًا؟ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنَزَلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّفَاءً شَرَّهُ» (وفي رواية: فحشيه) .

وترك عليه الصلاة والسلام قتلَ بعض من يستحق القتل ، وإعادة بناء الكعبة . تأليفا للناس ومراعاة لحال الدعوة .

لكن من الناس من يحمله عجزه وضعفه على أن يجعل البديل هو الأصل .

وهذا عندما يكون هو الباب لا يغني شيئا ولا يرد الرياح المعتادة المتوسطة فضلا عن الشديدة .

فيا أيها المرابي والمعلم عندما تعجز عن رد الشر ومنعه لا تستهن بالتخفيف منه فأنت مخاطب بالتخفيف فهذا الذي تردده هو منكر مطلوب منك رده . وذلك الذي عجزت عنه أنت معذور في عدم رده فانتقل للمرتبة الأدنى .

يقول شيخ الإسلام رحمه الله ،: (فَإِذَا قَوِيَ أَهْلُ الْقُجُورِ حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُمْ إِضْعَاءٌ إِلَى الْبِرِّ: بَلْ يُؤْذُونَ النَّاهِيَ بِغَلْبَةِ الشُّحِّ وَالْهَوَى وَالْعُجْبِ سَقَطَ التَّعْيِيرُ بِاللِّسَانِ فِي هَذِهِ الْحَالِ وَبَقِيَ بِالْقَلْبِ) الفتاوى (١٤ / ٤٧٩)

ويقول الإمام ابن باز رحمه الله : (فإذا وجد المؤمن هذه الأشياء؛ فليصبر على الإنكار، وليحتسب، ولا ييأس، والله يقول: وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ وَلَوْ لَمْ يَحْصِلْ إِلَّا التَّخْفِيفُ، لَوْ مَا حَصَلَ زَوَالُ الشَّيْءِ كُلِّهِ، لَوْ لَمْ يَحْصِلْ إِلَّا التَّخْفِيفُ؛ لَكَانَ خَيْرًا عَظِيمًا.) موقع الشيخ.

فالثبات على التخفيف والاجتهاد فيه خير من الانكسار بل هو الواجب المتعين عند العجز عن الإزالة بالكلية .

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه .
اللهم اجعلنا من الصالحين المصلحين .
وجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن .

أبو حمد عثمان بن علي الأنصاري